الفصل العاشر

الديانة اليهودية وعوامل نشوئها

1- عوامل نشوء الديانة اليهودية.

2- مصادر الديانة اليهودية :

أ - التوراة أو العهد القديم.

ب- التلمود.

- التوراة في ضوء الاكتشافات الآثارية.

- التلمود في ضوء الاكتشافات الآثارية.

3- انتشار الديانة اليهودية - اليهودية في بلاد الخزر.

4- هل يكوّن اليهود جنساً أو عرقاً واحداً.

obeikandl.com

أولاً: عوامل نشوء الديانة اليهودية[1]:

إن التطورات الدينية الهامة التي حدثت في تاريخ الديانات الشرقية، تركت أثراً على كل ا لديانات اللاحقة، وخصوصاً على الديانة اليهودية، التي تكونت نتيجة المخاض الديني والصراعات الدينية داخل مجموع الديانة العربية السورية، ولم تُجلب من الخارج كما يعتقد معظم مؤرخي الديانات.

فاليهودية لم تأتِ بدين جديد، بل جاءت لتطور الديانة في الوطن العربي ذاته، وكان للجدل الديني في عبادة الآلهة القديمة تأثير كبير على نشوء الديانة اليهودية، فالجدل بين عبادة (بعل وعشتار) آلهة الأرض والطبيعة من جهة، وبين عبادة (إيل) سيد السماء المتعالي عن الأرض من جهة ثانية، قد انتهى لصالح (إيل) كإله واحد في الديانة (الكنعانية - الإبراهيمية) التي أسسها إبراهيم الخليل. وقد سارت اليهودية على نهج الإيلية شوطاً، ثم انحرفت عنها لتجعل الإله (يهوه) بدلاً من إيل.

إذن فالديانة اليهودية في مراحلها الأولى لم تتمايز عن ديانة (كنعان) وأن التراث الإبراهيمي الذي يدعيه اليهود لأنفسهم، والذي يبدأ بالأب الأول إبراهيم وينتهي بيعقوب، ليس إلا تراثاًكنعانياً ينتمي للاتجاه الإيلي ويشارك فيه عدد من فروع العرب في الأرض العربية.

---

[1] – في هذه الفقرة،استعنت بكتاب (لغز عشتار) للأستاذ فراس السوّاح.

ولم يكن إله موسى التوراتي سوى إيل كنعان وإيل إبراهيم، ليس كما يعتقد المؤرخون أن موسى كان يحمل ديانة فرعون مصر (أخناتون) التي تدعو إلى عبادة الشمس. فلم ينجح موسى في تحقيق غاياته التي تهدف إلى عبادة الإله (إيل).

فمنذ تجوال موسى مع جماعته في غرب شبه الجزيرة العربية، محاولاً الدخول إلى أرض كنعان في (غامد وزهران) كان قومه يرتدّون، مرة بعد مرة، عن عبادة إله موسى ويعودون إلى عبادة آلهة أخرى (البعل وعشتار) وكانت أول ردّة قد حدثت تحت إشراف هارون، بينما كان موسى معتكفاً في الجبل يتلقى وحي الرب، وقد طالت غيبته، فأتى قوم موسى إلى هارون كما تقول التوراة في سفر الخروج (32 : 1- 4) ما نصه : ((ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب إلى هارون وقالوا: قُمْ إصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن موسى .. لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتوني بها. فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل وصنعه (عجلاً) مسبوكاً، فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل)).

أدى ذلك إلى غضب موسى فصهر تمثال العجل بالنار، ويقترن غضب موسى بغضب الرب على الشعب فدفعهم إلى يد أعدائهم الذين أهلكوا منهم كثيرين، ولكن عقاب الرب الشديد وغضب موسى، لم يفلح في توطيد عبادة إله واحد حيث تروي التوراة أن قوم موسى كانوا يغتنمون كل فرصة للعودة إلى عبادة

(البعل) ((فعل الشعب الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب إله آبائهم وساروا وراء آلهة الشعوب الأخرى - البعل وعشتروت - فحمي غضب الرب على إسرائيل فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم ولم يقدروا على الوقوف أمام أعدائهم)).

لكن موسى يمضي بعدها إلى الرب يسأله أن يغفر للشعب خطيئته، فيعطي الرب مغفرته لقوم موسى.

ومنذ أن استقر قوم موسى في الأرض التي حصلوا عليها من أرض كنعان في (غامد وزهران) ، كانت ديانتهم استمراراً للديانة الكنعانية مع بعض التحوير الذي طرأ على اسم الإله (إيل) ليصبح الاسم الجديد لايل (يهوه) وتذكر التوراة ذلك في سفر الخروج (3 : 15) ((وقال الله لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل (يهوه) إله آبائكم وإله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، أرسلني إليكم. وهذا اسمي إلى الأبد)).

وأما عن اسم (يهوه) فقد تعددت نظريات الد ارسين حول اشتقاقه منها : أن الاسم من أصل كنعاني مشتق من اسم أحد أبناء إيل المدعو (ياو) أو (ياويل). ومهما يكن الأمر في أصل اسم (يهوه) اليهودي فإنه ليس إلا إيل الكنعاني في حلة جديدة تحت اسم جديد.

ولكن (يهوه) اليهودي يدخل منذ البداية في معركة ضد آلهة كنعان الأخرى ولكنه لم يستطع تثبيت أقدامه قبل مرور ألف عام على وجود قوم موسى في أرض كنعان. وبذلك تأخذ اليهودية شكلها النهائي وتنفصل تدريجياً عن ديانة كنعان.

ويموت موسى في ظروف غامضة قبل تحقيق أهدافه، فلا هو استطاع فرض إله واحد على قومه ولا هو حقق لهم وعده بالأرض الجديدة.

ويعتقد بعض المؤرخين أن موت موسى في ظروف غامضة، يعود إلى صراعه مع الكهنة حول تثبيت عبادة الإله (إيل). فقتلوه ودمّروا كل ما جاء به من مبادئ وتعاليم دينية.

وفي زمن يشوع الذي جاء بعد موسى في قيادة الشعب، تمّ الاستيلاء على بقعة صغيرة من أرض كنعان، وفي زمن القضاة الذي تلا موت يشوع بن نون، عاد قوم موسى إلى عبادة (البعل وعشتروت) ولم يستتب الأمر ليهوه حتى ولا في فترة حكم الملوك، فالملك سليمان الذي كان أكثر الملوك شهرة في نظر التوراة، كان يحاول التوفيق بصورة رسمية بين عبادة يهوه وعبادة (البعل وعشتروت).

وهكذا بقيت الديانة اليهودية حتى القرون الأخيرة السابقة للميلاد، ديانة كنعانية، وليست نصوص التوراة سوى استمرار للنصوص الدينية في الأرض العربية، كما يُستدل من نصوص (أوغاريت) رأس شمراء.

ثم تحدث التلفيق ة الكبرى خلال القرن الخامس قبل الميلاد، حينما بدأ كهنة اليهود في الأسر بتدوين التوراة في صيغتها النهائية، حيث حاول الكتبة إظهار الاتجاه اليهوي) نسبة إلى يهوه، ((داخل الديانة اليهودية المتعددة الاتجاهات على أنها ديانة يهودية مستقلة ومتميزة منذ بدايتها الأولى، وأن الاتجاهات الأخرى لم تكن إلا تأثيرات غريبة طرأت على الديانة اليهودية من خارجه. وخاصة بعد الاحتكاك المباشر بشرائع وثقافة وادي الرافدين الناضجة ذات التاريخ العريق)).

وفي نهاية الأمر كان لا بد من حدوث (الانقلاب المسيحي) داخل المؤسسة الدينية اليهودية من أجل تحرير فكرة الإله الواحد الشامل ونشرها وذلك لأن هذه الفكرة كانت قد وصلت إلى مأزق الخروج منه، مع التعصب الديني والانغلاق الثقافي للشعب اليهودي، وإصراره على احتكار الإله الكوني واعتباره الهاً لليهود فقط، وخصماً لبقية البشر.

وعلى الرغم من أن المسيحية بدأت أول عهدها كإصلاح ديني داخل المؤسسة الدينية اليهودية. وعلى الرغم من أن أصحاب الاتجاه (اليهودي - المسيحي) قد فسروا أقوال السيد المسيح على هواهم. وعلى الرغم من أن بعض الحواريين وعلى رأسهم بطرس الرسول لم يبشروا بالمسيحية إلا بين أفراد الجاليات اليهودية خارج فلسطين. لكن المسيحية استطاعت بعد فترة قصيرة أن تثبت رسالتها الإنسانية الشاملة وأن تتوجه إلى بني البشر جميعاً.

ومن ناحية ثانية لم يكن الانقلاب المسيحي الجذري هو الذي حمل إلى العالم منفرداً فكرة الإله الكوني الواحد. ففي جزيرة العرب، التي بقيت طيلة التاريخ القديم في منأى عن أحداث العالم وصراعاته. والتي احتضنت لأجيالٍ، الديانة الإبراهيمية بفرعها الإسماعيلي (نسبة إلى إسماعيل)، بقي (الإله الكوني) الواحد حياً في قلوب الجماعات الحنيفية المتفرقة حتى أرسل الله وصيه (محمد) صل الله عليه وسلم، برسالة الواحد الحق ((قُلْ هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد)). صدق الله العظيم (سورة الإخلاص: 1- 4).

وبعد أقل من ربع قرن على نزول هذه الآيات، كان الإسلام يطرق بوابات العالم القديم، وينشر فكرة الإله الكوني الواحد في مطلع الشمس ومغاربها. مشكلاً مع المسيحية الحياة الروحية لإنسان العالم الحديث، في الوقت الذي تحجّر فيه إله العهد القديم مع البقايا العنصرية للمجتمع اليهودي.

ثانياً: مصادر الديانة اليهودية:

من المعروف الآن لدى المؤرخين والباحثين أن الديانة اليهودية تقوم على مصدرين رئيسيين، بالإضافة إلى التعاليم والشروح التي تركها الكهنة عبر قرون طويلة : فالمصدران هما :

أ- التوراة: وتعرف أيضاً بالعهد القديم لتمييزها عن العهد الجديد (الأناجيل).

ب- التلمود: ويعني (التعاليم) أو (الشرح والتفسير) ويشتمل على مجموعة الشرائع اليهودية بما في ذلك الشروح والتعليقات التي وضعها أحبار اليهود وعلماؤهم، وبنوا عليها سنناً وأداباً صارت على مرّ الزمن محل تقديس عند اليهود كالتوراة.

أ - التوراة أو العهد القديم : وهي عند اليهود (توره) ومعناها (الهدى والإرشاد) وتقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

1- **القسم الأول**: ويضم الأسفار الخمسة الأولى ويطلق عليها (كتب موسى الخمسة) (سفر التكوين - سفر الخروج - سفر اللاويين - سفر العدد - سفر التثنية). وتضمنت هذه الأسفار، مزيج من القصص والأساطير والشرائع تربط بين سياق الحوادث منذ خلق العالم حتى موت موسى.

2- **القسم الثاني**: ويُدعى أيضاً (نبييّم) أي الأنبياء ويشتمل على : سفر يشوع - سفر القضاة - سفر صموئيل الأول والثاني - سفر الملوك الأول والثاني - أخبار الأيام الأول والثاني - الأنبياء من (عزرا إلى أيوب).

3- **القسم الثالث** : ويدعى أيضاً (كتوبيم) أي الكتابات والأشعار. ويضم واحداً وعشرين سفراً من (مزامير داوود إلى ملاخي). وبذلك يكون العهد القديم مؤلفاً من تسعة وثلاثين سفراً.

إن بعض فئات اليهود لا تعترف بغير الأسفار الخمسة، لأنهم يزعمون أن تلك الأسفار هي (كتب موسى) ومن هؤلاء فئة (السامريين) الذي يحتفظون بنسخة قديمة من هذه الأسفار ولا تزال بقايا هذه الفئة موجودة حتى الآن ولا يتجاوز عددها المائتي نسمة، يتكلمون اللغة العربية، وترتكز عقيدتهم على الأركان التالية: (وحدانية الله، نبوة موسى، قداسة جبل جرزيم، الإيمان بأن الأسفار الخمسة منزلة من الله، الإيمان بيوم القيامة والبعث).

وهناك فرقة يهودية أخرى مؤلفة من بعض الكهنة وبعض الكتبة تسمى بـ (الصدوقيين) نسبة إلى رائدهم الأول (صدوق)،ظهرت هذه الفئة في العهد اليوناني. ولا يعترف هؤلاء بما أتى به الشيوخ والكتبة مما هو خارج الوحي المدون في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى. وهم في ذلك يقفون مع السامريين على صعيد واحد.

ومع ذلك تبقى التوراة المصدر الأساسي عند أغلبية اليهود في العالم. مع التأكيد على أن الديانة اليهودية هي ديانة كهنوتية، لأنّ الكهنة هم الذين يفسرون التوراة، وينفذون الشريعة، ويوجهون الشعب في ممارسة الشعائر الدينية، ويُعتبر الكهنة على أنهم الواسطة بين الشعب وبين الإله (يهوه). ومن كبار طبقة الكهنة يتألف (مجمع اليهود الديني الأعلى) المعروف بـ (السنهدرين). أصل الكلمة من اللغة اليونانية وتعني (المجلس). تأسس السنهدرين في العهد اليوناني في

(أورشليم الجديدة) أي القدس الآن، بعد نزوح اليهود الذين عادوا من الأسر إلى فلسطين. ولكن اليهود يعتبرون أن أول (سنهدرين) كان في زمن موسى، لما دعا سبعين من شيوخ إسرائيل يعملون معه في قيادة الشعب إلى أرض كنعان أو (أرض الميعاد) كما يدّعي اليهود.

وقد لعب السنهدرين دوراً هاماً في حياة اليهود الدينية والاجتماعية والسياسية في الفترة التي تلت عودة اليهود من الأسر البابلي في العهد الفارسي.

كان (السنهدرين) يتألف من فئتين من الكهنة؛ الفئة الأولى وتدعى (سادوسي) أي الفئة المتمسكة بتعاليم الدين ومهمتها حمل الناس على الزهد والتعبد.

الفئة الثانية وتدعى (بيروشيم) وهي التي تدفع الناس إلى العمل والكسب والإثراء ليصبح الشعب اليهودي ذا قوة مادية كبرى.

كانت صلاحيات (السنهدرين) تضيق وتتسع من وقت لآخر حسب رغبة الحكام (اليونان أو الرومان) بالتعاون مع أعضائه، ولكن السنهدرين كان في العهد الروماني يتمتع بصلاحيات دينية واجتماعية واسعة خاصة باليهود وبما لا يتعارض مع المصالح السياسية للرومان.

بعد هذا الاستعراض الموجز للديانة اليهودية التي تستند إلى التوراة بالدرجة الأولى؛ غير أنه يرد إلى الذهن السؤال التالي: هل التوراة الموجودة الآن بين أيدينا،

هي توراة موسى والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم؟! وهل حافظت التوراة على الأصل دون تحريف؟!.

من المؤكد أن التوراة المتداولة في الوقت الحاضر، قد دُونت بعد موسى بزمن طويل، فحُرّفت وأُضيف إليها ما اتفق مع رغبات ونزعات الكهنة، وقد مرت بعدة أدوار، من الرواية الشفوية والانتخاب والحذف والإضافة إلى دور التدوين. وإلا فكيف يمكن أن يكون قد نزل أمر الرب، بقتل الأطفال والنساء والشيوخ، في حين أن إحدى الوصايا العشر تأمر بعكس ذلك (لا تقتل)؟!.

كان أول تحرير للتوراة معروف هو (الترجمة السبعونية) باللغة اليونانية والتي تعود إلى القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، أي عهد الدولة السلوقية في سوريا ولا يُعرف أكانت ترجمة حقاً أم تأليفاً عكف كهنة اليهود على وضعها، دون أن يتركوا أية إشارة إلى النص الأصلي، كما لم يُعثر على أي وجود للنص الأصلي حتى الآن. اشترك في وضع النص اليوناني (اثنان وسبعون) كاهناً من اليهود واستغرق العمل زهاء مائة عام تقريباً.

أما النص (العبري) الموجود الآن لم ينتهِ تحريره إلا في القرن الثامن الميلادي. وأُلصقت التوراة أو (العهد القديم) بالأناجيل المسيحية أو (العهد الجديد) لتشترك معه تحت مظلة القداسة ، ولتكون في مأمن من النقد بعد أن تبين أمر التوراة

وصار معروفاً ما تحتويه من انتحال وتزوير وتشويه وما تعجّ به صفحاتها من تحوير للوقائع التاريخية والمواقع الجغرافية.

وأصبح من المتعذر تحديد القسم الذي يرجع إلى زمن موسى، أو تمييز القسم الذي أضيف فيما بعد أو القسم المحرّف من الأسفار التي تحتويها التوراة. ويعتقد المؤرخون أن الوصايا العشر هي وحدها أصل الشريعة التي وضعها موسى.

إن كل ما أحاط التوراة من شك، جعل الديانة اليهودية عاجزة عن مواجهة العقائد الدينية عند القبائل العربية البدوية، وعاجزة أيضاً عن الانتشار بين العرب. وذلك أن البدو في شبه جزيرة العرب كانوا يعلمون أن ما أتى به موسى، قد تمّ إخفاؤه أو إتلافه. مما حدّ من انتشار الديانة اليهودية بين ربوع الجزيرة العربية، وجعل البدوي العربي ينظر إلى معتنقي الديانة اليهودية، نظرة مفعمة بالشك وعدم الثقة.

وأورد القرآن الكريم إشارات إلى هذه الظاهرة في أكثر من موضع: ففي سورة الأنعام الآية 91 تنص: ((وما قدّروا الله حق قدره، إذ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء، قُلْ مَن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تُبدونها وتُخفون كثيراً)).

صدق الله العظيم

ففي هذا الدليل الواضح والأكيد على اختفاء الأصل وبقاء الموضوع المزوّر من قبل الكهنة.

ويتضح مما تقدم أن التوراة، دُونت بعد إبراهيم الخليل بألف وثلاثمائة سنة وبعد موسى بأكثر من سبعمائة سنة، وهي بالتأكيد غير التوراة التي جاء بها موسى. وحول هذا الموضوع يقول الكاتب (لودس) في كتابه (إسرائيل) صـ 359 ما يلي: ((إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشر إلى عصر موسى، لأن ما ورد من روايات في هذه الأسفار قد تعرّض إلى التكرار وإعادة التصنيف وإلى تغيير وتوسيع مستمرين على مرّ العصور)).

تبقى معرفة ما تقوله الاكتشافات الآثارية، ضرورة لازمة للتأكد من تعارض ما أوردته التوراة مع ما خلفه الإنسان من معلومات سبقت زمن التوراة بكثير، وتدل على بطلان الكثير من مدونات التوراة. وهذا يقتضي وضع التوراة أمام الاكتشافات الآثارية.

بقيت التوراة قبل ظهور الاكتشافات الآثارية، بالإضافة إلى الكتابات اليونانية والرومانية المتأخرة، المصدر الوحيد الذي يرجع إليه الباحثون في تاريخ اليهود وعلاقتهم بفلسطين. باعتبارها من أقدم الكتابات في تاريخ البشرية، فضلاً عن اعتبارها مقدسة، ولذا كان الباحثون يتقبلون كل ما ورد في التوراة

من عرض للأحداث والوقائع، على أنها حقائق دون نقاش أو جدال لكونه من المسائل المقدسة من جهة، ومن جهة ثانية لعدم وجود أي كتاب قديم ينافس التوراة في هذا الميدان.

ومع ذلك بدأ الشك يأخذ طريقه إلى أفكار الباحثين الذين بدأوا يتساؤلون عن منزلة التوراة كمصدر تاريخي موثوق به، ((أين ومتى، وكيف، وبأية لغة ظهرت التوراة، وما هي صلتها بالثقافات القديمة التي سبقتها؟؟)).

بقيت هذه الأسئلة دون جواب إلى أن ظهر عصر الاكتشافات الآثارية. التي وفرت للباحثين ثروة ضخمة من المعلومات الحقيقية التي تركها الأقدمون قبل زمن التوراة بمئات السنين.

وهؤلاء الأقدمون على امتداد الأرض العربية هم ((السومريون والأكاديون والبابليون والآشوريون والكنعانيون والعموريون والفينيقيون والآراميون والمصريون)).

عثر المنقبون من علماء الآثار على كثير من المعلومات، خلال القرن التاسع عشر والعشرين، فترجموها إلى اللغات الحديثة، وأصبحت في متناول أيدي الباحثين. حيث وصلت تلك المعلومات إليهم كما هي في الأصل كما كُتبت أو نُقِشت بحروفها ولغاتها الأصلية، على عكس ما عُرف عن التوراة من تباعد في العصر وتبديل في اللغة.

وقد ساعدت تلك الوثائق على كشف كثير من الأمور الغامضة والتمييز بين الوقائع الحقيقية وبين الأساطير الخيالية والتحريفات المتعمدة في التوراة، ويمكن إجمال ما أوضحته المكتشفات بما يلي:

1- تحديد أكثر مواقع المدن والأماكن الوارد ذكرها في التوراة.

2- تعيين تواريخ الحوادث بصورة أقرب إلى الحقيقة وبحسب تسلسلها الزمني بالمقارنة مع ما ورد في التوراة.

3- عرف الباحثون أن الكثير مما ورد ذكره في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع أصله إلى الثقافة العربية في كنعان وبابل. وأن ما قدمه اليهود ليس مبتكراً بل منقولاً عن غيرهم.

4- توصل الباحثون إلى معرفة أن مواد تشريعية عديدة في التوراة مأخوذة من شريعة (حمورابي) والشرائع عند العرب القدماء. بل هي نفسها التي كان الكنعانيون والبابليون يمارسونها قبل ظهور موسى وجماعته.

5- ثبوت أن الأسماء التاريخية الواردة في التوراة من أسماء (أشخاص أو أماكن) هي من أصل عربي كنعاني أو آرامي تعود إلى ما قبل ظهور اليهود بأكثر من ألفي سنة.

6- ثبوت كون اليهود عاشوا في قسم من أرض كنعان (غامد وزهران) غرب شبه جزيرة العرب، وليس في فلسطين الحالية التي اعتبرتها التوراة أرض كنعان خطأً.

ومع ظهور عصر الاكتشفات الآثارية، بدأ يسود بين الكتّاب المحدثين الشعور بأن الوقت قد حان للكشف عن صلة الثقافة اليهودية والديانة اليهودية بالثقافات العربية القديمة، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ (هوك Hook) في مقدمة كتابه (أصول الديانات السامية القديمة) ما نصه: ((إننا الآن في وضع أكثر ملائمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الأساسية للديانة اليهودية بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة بوجهة نظر تاريخية جديدة)).

ويقول الدكتور أحمد سوسة في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) صـ 187 ما يلي: ((لقد آن الأوان للباحثين أن يتحرروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث تاريخ فلسطين القديم، وعليهم أن يوغلوا في أحدث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات القرون، فمهدت السبيل للتمييز بين الغث و السمين واقتفاء التواريخ حسب تسلسلها الزمني)).

ويقول الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم) صـ 464 ما نصه: ((إن التوراة بكل قصصها وأمثالها، وحكمها وأناشيدها ومزاميرها،

ليست إلا تسجيلاً خطياً لبعض التراث العربي الكبير الشفوي والمكتوب الذي كانت تزخر به الساحة العربية كلها، وقد أثبتت ذلك مكتشفات رأس شمرة (أوغاريت) ومكتبة آشور بانيبال ورسائل العمارنة وغيرها. وإن مهمة الباحث العربي ليس إلا دراسة هذا التراث العربي ككل وفرز كل ما أُلحق به من تزوير وتحريف خلال عمليات النقل والترجمة)).

ب - التلمـــود:

يعني التلمود (التعاليم أوالشروح) ويحتوي على مجموعة الشرائع اليهودية التي دوّنها الكهنة، شرحاً وتفسيراً للتوراة، وهو عند اليهود جزء من أحكام الديانة اليهودية ويُقسم إلى قسمين:

1 - المشِنه: أي النص أو المتن.

2- الجمارا: أي التفسير أو الشرح.

المِشنة: عبارة عن مجموعة تقاليد اليهود المختلفة في شتى نواحي الحياة اليهودية مع كونها مرفقة ببعض الآيات من التوراة. ويزعم الكهنة أن هذه التقاليد والتعاليم أملاها موسى على شعبه، ثم تداولها هارون ويشوع، ثم نقلوها إلى الأنبياء، ومن بعدهم انتقلت إلى أعضاء المجلس الأعلى (السنهدرين) وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح حينما جمعها الحاخام (يهوذا) ودوّنها.

أما **الجمارا** : فهي مجموعة المناظرات والتعاليم والتفاسير التي دُونت في المدارس اليهودية في العالم بعد انتهاء تدوين المِشنة.

ويحتوي التلمود على أبحاث موزعة إلى ستة أبواب هي:

(الفلاحة - الأعياد والمواسم - النساء وما له علاقة بهن من زواج وطلاق وحضانة ونذور وارث ووصيّة - النواهي والعقوبات - الذبائح وما يتعلق بالتقديمات والقرابين ومراسيم الهيكل - الطهارة).

وبذلك يكمّل التلمود أحكام الديانة اليهودية التي استغرق وضعها أكثر من ألف عام (من القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن الخامس بعد الميلاد).

ويوجد عند اليهود (تلمودان)، الأول ويُعرف بالتلمود الأورشليمي، وقد كُتب بين القرن الثالث والقرن الخامس الميلادي، كتبه (حاخامو) طبريا بالآرامية الغربية. والثاني، ويُعرف بالتلمود (البابلي) انتهت كتابته بصيغته النهائية في بابل في القرن الخامس الميلادي، كُتِبَ بالآرامية الشرقية.

يؤكد التلمود على مبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري عند اليهود، على بقية شعوب الأرض، وجعل الناس جميعاً عبيداً لليهود (لأن الله اختارهم أو اصطفاهم دون سواهم من البشر) وتتجسّد في التلمود انعزالية الشعب اليهودي عن غيره من الشعوب، كما يؤكد على حق اليهود في امتلاك خيرات وثروات الأرض التي وهبها لهم إلههم الخاص (يهوه) دون بقية شعوب العالم.

لذلك حرص اليهود على إخفاء التلمود كي لا يطلع عليه غيرهم خوفاً من ثورة العالم المسيحي ضدهم. فقد أخفوه قروناً طويلة. وفي عام 1242 م أمرت الحكومة الفرنسية بإحراق التلمود في باريس علناً. وقد تمّ حرقه عشرات المرات في مختلف الأوقات والأماكن.

ويقول العلامة (وول ديورانت) في كتابه قصة الحضارة: ((إن الربانيين والحاخامين أخذوا يفسرون التوراة حسب أهوائهم بالشكل الذي يُرضي غرائزهم الشريرة ونزوعهم إلى استعلائهم على بقية أجناس البشر)).

وفي النهاية أجد من المفيد ذكر ما قاله الدكتور أحمد سوسه في كتابه العرب واليهود في التاريخ) صـ 175 - 176 : ((اشتغل كثيرون من اليهود بالفلسفة بروح حرّ ة في زمن العرب وعُني آخرون في شرح التوراة والتلمود على أساس عقلي. ويشير الإخباريون إلى أن (حاخاماً) من العراق اسمه (حنان بن داوود) ثار على التلمود ، الذي كان اليهود يرضخون تحت أغلاله ودعا إلى الاكتفاء بالتوراة. وأنشأ في بغداد طائفة يهودية جديدة هي (القرائية) بلغ عدد أعضائها نحو عشرة آلاف نفس)).

وللتلمود نسخة باللغة الإنكليزية بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته يبلغ عدد أجزائها (36مجلداً). نُقل الجزء الأول إلى اللغة العربية عام 1909. ويصعب الحصول على نسخة كاملة من التلمود.

ومما يذكر أن المجمع اليهودي المنعقد في بولونيا سنة 1631 م قرر بالإجماع، حذف جميع العبارات التي تنص على إهانة الأغيار وأن التعاليم القائلة بأن ((المسيحيين هم سافلو الأخلاق ولا يستحقون المحبة والعدل لا يصح نشرها)).

أليس من الغرابة أن يقول اليهود عن المسيحيين، حاملي رسالة السيد المسيح رسالة المحبة والسلام لكل البشر، أنهم ((سافلو الأخلاق ولا يستحقون المحبة والعدل))؟! إذن ماذا يقول العالم عن اليهود؛ قتلة الأنبياء ومزوري الحقائق وتجار الفجور والابتزاز المتعاملون بالربا، وقتلة النساء والأطفال والشيوخ، بشهادة التوراة ذاتها وبشهادة قصة (تاجر البندقية) للروائي البريطاني الشهير (شكسبير).

التلمود في ضوء الاكتشافات الآثارية:

كما تبين أن معظم مدونات التوراة تعود إلى الكتابات التي سبقتها، بعد أن أثبتت ذلك الاكتشافات الآثارية. كذلك وجد الباحثون تشابهاً بين مدونات التلمود البابلي وبين كتابات السومريين وخاصة فيما يتعلق بشؤون الري والزراعة.

ففي التلمود قسم يتعلق بالتعاليم والإرشادات المتعلقة بالزراعة المروية، وعلاقة المزارعين بعضهم ببعض، وهي موجهة بالدرجة الأولى إلى اليهود الذين كانوا يمارسون الزراعة في بابل. ولا شك أن هذه الشروح والإرشادات مستقاة من كتابات السومريين.

لقد عثر المنقبون بين أطلال مدينة (نيبور **Nipur**) على تقويم لأحد المزارعين السومريين، فيه نصائح وإرشادات موجهة إلى ولده حول أصلح الطرق التي يجب اتباعها في تنظيم وإدارة شؤون مزرعته. ويعود تاريخ هذه الوثيقة إلى ما قبل أكثر من أربعة آلاف عام، وقد دُونت على رقيم من الطين وبالخط المسماري.

وقد وُجد أن مدونات التلمود لها أصولها في الكتابات السومرية والبابلية فيما يتعلق بالعناية ببساتين النخيل. وفيما يتعلق بالعادات والتقاليد التي اقتبسها اليهود من القدماء كثيرة منها: الختان، وتقديم اثني عشر قرصاً من الخبز أمام الرب،وتعيين حصة الكهنة من الذبائح، وغيرها من الشرائع التي دُونت في التلمود.

ويقول البروفسور (ووترمان **Waterman**) في هذا الصدد ما يلي: ((لقد أصبح من المسلّم به الآن أن جميع الأعياد اليهودية ما عدا عيد الفصح، كانت بالأصل من الطقوس الدينية في كنعان، وأن شرح طريقة تطبيقها ومراعاتها كمجموعة من الشرائع، لنا كل الحق أن نعتبرها أساساً من عهود ما قبل إسرائيل)).

ثم يضيف إلى ذلك قوله: ((وهكذا إن بني إسرائيل (الموسويون) وجدوا شرائع معدة ومهيأة فعملوا بها في مسيرة حياتهم في كنعان. وإن التحقيقات

الأركيولوجية التي يمكن أن تزودنا بمعلومات في هذه الناحية لا تعترف بوجود أي فاصل ثقافي بين الكنعانية واليهودية)).

وهكذا نجد أن ما يزعمه يهود اليوم ومن يؤيدوهم، بأن قوم موسى كانوا هم الذين وضعوا قواعد الحضارة، وأبدعوا في الأمور الدينية والفكرية، وأن سكان البلاد التي عاشوا فيها من (كنعانيين وأموريين وغيرهم)، قد أخذوا عنهم أصول الحضارة. لنا من النصوص الآثارية والمدونات القديمة ما يكفي لدحض هذا الزعم الخاطئ القائم على الكذب والتزوير.

وما ذلك إلا لأن قوم موسى، أو من أُطلق عليهم فيما بعد اسم (يهود) إنما كانوا من الأميين، فلا يملكون أي قسط من الحضارة أو الثقافة. بل اقتبسوا من الكنعانيين والبابليين لغتهم وآدابهم وثقافتهم وديانتهم، حتى أن اللهجة التي يتكلمها يهود إسرائيل اليوم، إنما هي لهجة آرامية ومكتوبة بحروف آرامية. كما أنهم كتبوا التوراة والتلمود بالآرامية أيضاً.

ومن ذلك يتضح أنه لم يكن لليهود أية مساهمة في تقدّم الحضارة الإنسانية وأن أكثر مدوناتهم الدينية مأخوذة عن الثقافات العربية القديمة. والخلاصة أن الموسويين تسلموا حضارة لم تكن من إبداعهم بل كانت نتاج غيرهم. وفي ذلك يقول الدكتور (إسرائيل ولفنسون) وهو يهودي ما يلي: ((إن يهود بلاد العرب لم

يُظهروا شيئاً من النبوغ والعبقرية مطلقاً ولم يشتهر من بينهم شخصية واحدة في كل عصورها بالرقي الفكري)).

أما العلاّمة الدكتور (غوستاف لوبون) فيقول في كتابه (اليهود في تاريخ الحضارات الأولى) ما نصه: ((لم يكن لليهود فنون وعلوم ولا صناعة ولا أي شيء تقوم به حضارة، واليهود لم يتجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ)).

وفي كتاب الدكتور (جيمس هنري برستد) (العصور القديمة صـ 155) نجد مايلي: ((إن بني إسرائيل عندما جاؤوا إلى بلاد كنعان كانت المدن الكنعانية ذات حضارة قديمة نشأت منذ ألف وخمسمائة سنة، ومنازل متقنة فيها كثير من أسباب الراحة، وحكومة وصناعة وتجارة وعلوم ومعرفة بالكتابة وديانة اقتبسها هؤلاء الساذجون من مواطنيهم)).

ثم يضيف إلى ذلك قوله ((إن الامتزاج مع الكنعانيين أحدث تغيرات جوهرية في حياة العبرانيين (أي اليهود)، فشرع بعضهم يبنون بيوتاً ويغادرون سكنى الخيام وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها وهم في البادية ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من منسوجات صوفية زاهية)).

أما المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد فيقول في كتابه (الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين) صـ 56 ما نصه: ((إن بني إسرائيل (اتباع موسى)

قبيلة لم تتطور، وقد ظلت بين البادية والحاضرة، قبيلة لم تستوفِ أطوار البادية ولم تتحول إلى أطوار الحضارة شعباً (مدنياً) يتمشّى مع الحياة المدنية على سنة الشعوب، ولازمتها عادة السمسرة والوساطة فلم تتقدم إلى آخر الشوط في تثمير أعمال البدو ولا في تثمير أعمال الحضر، فهي في حالة العزلة الاجتماعية، وما يلازمها عند البدو من عزلة العصبية بالدم والسلالة)).

والخلاصة فإن شريعة التوراة وتعاليم التلمود، التي كتبها كهنة اليهود في بابل وفي غيرها، لا تخرج عن كونها اقتباساً من الشرائع والمدونات القديمة التي كان يمارسها السكان العرب في تلك العصور. ومما لا شك فيه أن كهنة اليهود الذين كانوا في بابل أيام السبي، كان في متناول أيديهم كل المدونات لأنهم كانوا يحسنون التكلم بجميع اللهجات السامية وحتى اللغة السومرية. فليس لليهود فيما دوّنوه أي أدب مبتكر خاص بهم، بل ضموا كل ما اقتبسوه إلى كتبهم (التوراة والتلمود) واعتبروها من ابتكارهم.

ومن الغريب أن أكثر الكتّاب الأجانب وحتى بعض الكتّاب العرب أيضاً، عندما يجدون تشابهاً بين مدونات التوراة أو التلمود وبين المدونات الآثارية، يقولون إن المدونات الآثارية جاءت مؤيدة لما ورد في التوراة. وكأنهم بذلك يعتبرون مدونات التوراة أقدم من المدونات الآثارية فجاءت مؤيدة لها. وفي هذا من المغالطة ما يجعل الباحث يحتار في تقرير أقدمية الآثار على مدونات التوراة.

وليس هذا فحسب بل أن بعض الكتّاب يعتبر لغة اليهود (العبرية) على أنها أقدم من الكنعانية، فيقولون إن اللغة الكنعانية تشبه اللغة العبرية (اليهودية) بدل أن يعترفوا بالحقيقة. وكيف يقبلون هذا التزوير والكنعانية موجودة قبل ظهور موسى واليهود بأكثر من ألفي عام !؟.

ومن الجدير بالذكر ما أورده الدكتور أحمد سوسة في كتابه (العرب واليهود في التاريخ صـ 224) فيقول: ((أذاعت محطة لندن بالعربية (مساء يوم 22شباط 1971) خبراً مفاده: أن المنقبين توصلوا إلى اكتشاف مهم، وهو العثور على مخطوطات في الخليل بلغة سكان فلسطين الأصليين ترجع إلى سنة (700ق.م) وتقول الإذاعة أن هذا ما يؤيد أن اللغة العبرية متأخرة وأن المتكلمين بها أقلية في حين أن لغة سكان البلاد الأصليين هي التي كانت سائدة)).

ويعلق الدكتور أحمد سوسه على ما أذاعته محطة لندن بقوله : ((وهذه العبارة نسمعها لأول مرة من جهة أجنبية وهي تعترف بالحقيقة، أي أن اليهود كانوا غرباء وأقلية، وأن لغة السكان العرب هي التي كانت سائدة)).

ولا شك أن الاكتشافات الآثرية قد أوضحت زيف هذا الاعتقاد وكشفت للباحثين ما كان غامضاً في مدونات التوراة والتلمود، وبيّنت أن كهنة اليهود زوروا وبدّلوا وحرّفوا، لإثبات حق اليهود فيما لا حق لهم به.

ثالثاً: انتشار الديانة اليهودية:

واليهود في العالم اليوم:

أ - انتشار الديانة اليهودية:

من المعروف الآن، أن الديانة اليهودية انتشرت في مناطق متفرقة من (آسيا وأوروبة وإفريقيا) إضافة إلى اعتناق عناصر كثيرة الديانة اليهودية عن طريق الزواج. وقد ظلت اليهودية زمناً طويلاً فاتحة ذراعيها مرحبةً بكل من يرغب في الانضواء مخلصاً تحت لوائها من أبناء الشعوب الأخرى.

بدأ التبشير بالدين اليهودي منذ تكوّن الديانة والانتهاء من تدوين التوراة. وقد استمر ذلك حتى العصور الوسطى. وقضى كهنة اليهود قروناً طويلة يعملون بجدٍ ونشاط في نشر ديانتهم بين شعوب وأمم لا تمت إلى قوم موسى بأية صلة وليس لهم أية علاقة بفلسطين أو بسكان الأرض العربية لا من قريب أو من بعيد.

كما أن الدعاة الذين عملوا في نشر اليهودية، لم يكونوا من قوم موسى، ولا من الكهنة الذين عاشوا في فلسطين مؤخراً (أي بعد انتقال عددٍ من اليهود الذين عادوا من السبي إلى فلسطين). بل كان أولئك من الشعوب التي اعتنقت الدين اليهودي وتحمسوا له، مثلما لم تنتشر المسيحية بواسطة سكان فلسطين وحدهم، بل بواسطة من اعتنقها من مختلف الأقوام في العالم.

إذن اعتنق اليهودية شعوب عديدة، وأجناس مختلفة، وهم في ديارهم ويتكلمون لغاتهم ويمارسون عاداتهم وتقاليدهم التي عرفوها وعاشوها في

بيئاتهم، ولم يكن أولئك الأقوام في أي وقت من الأوقات من سكان فلسطين أو من سكان الوطن العربي، بل لم ينتسب أولئك إلى العرق السامي مطلقاً.

بل كان انتشار الدين اليهودي بين أمم متباعدة الأوطان والعرق من أمثال: ((سكان القوقاس من الخزر وسكان روسيا، وسكان أواسط أوروبا وشرقها، والحبشة، وشعوب مختلفة في مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، والأقطار المجاورة لها وفي مناطق من آسيا)).

وهكذا يتضح أن يهود العالم الآن، ليسوا من قوم موسى الذين عاشوا في شبه جزيرة العرب بين القرن الثالث عشر قبل الميلاد وحتى القرن السادس قبل الميلاد، حيث حصل السبي إلى بابل من قبل نبوخذ نصّر الكلداني.

وإذا كانت الحركة الصهيونية الآن تحاول ربط جميع اليهود في العالم ببني إسرائيل، وتعمل على ترسيخ ذلك في أذهان العالم، بهدف التأكيد على فكرة (أرض الميعاد). لكن تلك المحاولات الزائفة لا تستند إلى أساس علمي أو واقع تاريخي لأنَّ اليهود المعاصرين أبعد ما يكونون من أنسال قوم موسى أو بني إسرائيل.

ويؤكد كثيرون من علماء الأجناس عدم انتماء اليهود إلى أصل أو عرق واحد وفي ذلك يقول العلامة (لامبروزو): ((إن اليهود المعاصرين أقرب إلى الجنس

الآري منه إلى الجنس السامي، وإنهم طائفة دينية تميزت بميراث اجتماعي واقتصادي، انضم إليها عبر القرون أناس ينتمون إلى شتى الأجناس البشرية)).

إن أحد علماء الأجناس في الجامعة العبرية نفسها، (البروفسور جورفتيش) كان قد أجرى تجارب على اليهود المهاجرين إلى إسرائيل، وسجل النتائج التي توصل إليها في كتاب بيّن فيه: ((إن اليهود ليسوا بالشعب الواحد .. أما يهود أوروبا الشرقية فينتسبون إلى قبائل الخزر.

وأما يهود أوروبا فمن أصل أوروبي صميم وقد اعتنقوا الدين اليهودي بعد القرن الثالث الميلادي، على أيدي مبشرين من اليهود)).

وليس هذا فحسب بل إن تلك الجماعة التي (عُرفت بقوم موسى) أو ((بني إسرائيل)) والتي عاشت في العصور القديمة، كانت آخذة في التقلص والذوبان ومن ثم التلاشي نتيجة لعمليات السبي والحروب المتواصلة، ونتيجة للصراعات التي دارت بين المتنافسين على السيطرة وبسط النفوذ على طرق التجارة الدولية. يضاف إلى ذلك انقسام تلك الجماعة على نفسها واقتتالها للحصول على المكاسب والفوائد التي يحصلون عليها من الغزو أو السطو على المناطق الزراعية المعمورة. أو العمولات التي تأتيهم من حماية طريق التجارة لصالح جهة أو لأخرى. يضاف إلى ذلك ما لاقوه من عسف وتشريد وقتل في زمن اليونان والرومان. حتى تناثرت تلك

المجموعة واندثرت. ويقول أحد المؤرخين((لما دخل العرب المسلمون أرض فلسطين في القرن السابع الميلادي، لم يكن لليهود أي وجود فيها)).

ويقول الدكتور أحمد سوسه في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) صـ 342 ما نصه: ((ويكمن السر في بقاء اليهودية طوال عشرات القرون حتى يومنا هذا، في أنها غير مرتبطة باعتبارات جغرافية أو جنس أو لغة أو قومية أو سياسة لذلك استطاعت اليهودية كدين أن تستمر وتبقى على الرغم من جميع التقلبات)).

ومن أهم البلاد التي انتشرت فيها اليهودية، (بلاد الخزر) فكيف حصل ذلك؟!.

اليهودية في بلاد الخزر:

تقع بلاد الخزر جنوب روسيا عند مصب نهر الفولغا في بحر قزوين أو بحر الخزر، وسكان تلك البلاد قبائل من الأتراك المغول ويطلق عليهم اسم الخزر نسبة إلى بحر الخزر. وهم من أكبر المجموعات المتهودة. وتفيد المصادر أن هذه الجماعات اعتنقت الدين اليهودي خلال العصور الوسطى بعد أعتناق أميرهم اليهودية.

وتذكر المصادر العربية أن اليهودية دخلت بلاد الخزر لأول مرة (أواخر القرن الثامن الميلادي وأوائل القرن التاسع الميلادي) ويقول المسعودي في كتابه (مروج الذهب): ((إن دخول اليهودية الى بلاد الخزر كان يعاصر خلافة هارون الرشيد

(170- 193هـ) ويقابل (786 - 809م). فأما اليهود، الملك وحاشيته، والخزر من جنسهم وقد كان تهوّد ملك الخزر في خلافة الرشيد وقد انضاف إليهم خلق من اليهود وردوا من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم)). ولعل ذلك يعود الى أن ملك الروم أكره اليهود في بلاده على اعتناق المسيحية وترك دينهم فهرب كثير من اليهود من أرض الروم الى بلاد الخزر .

ويذكر الدكتور أحمد سوسه في كتابه (العرب واليهود في التاريخ) صـ 335 ما يلي: ((وأقدم المعلومات عن انتشار اليهودية في الخزر وصلتنا عن الرحّالة العربي (ابن فضلان) الذي أوفده الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة 309 هـ 921م في بعثة إلى ملك البلغار، ففي طريق عودته مرّ بمملكة الخزر وبعاصمتها (إتيل) ووصف ما شاهده بتلك البلاد فيقول: ملكهم يهودي ويقال إن له من الحاشية أربعة آلاف رجل .. والخزر وملكهم كلهم يهود، والغالب على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان)).

وهذا يدل على أن تلك القبائل عند اعتناقها الدين اليهودي بقيت محتفظة بعاداتها ولغتها وثقافتها من جميع الوجوه. وتدل الحوادث التاريخية أن اليهودية لم يكتب لها الدوام في الخزر. فبعد حوالي قرن ونصف من دخول اليهودية إلى بلاد الخزر، جاءت حملة من الروس وقضت على مملكتهم بأكملها فتشرّد أهلها. وتعرض الخزر أيضاً لاجتياح المغول الذين عصفوا بهم في طريقهم إلى

القسطنطينية والمنطقة العربية مما أدى إلى انتشار يهود الخزر في جميع أنحاء روسيا وأوروبا الشرقية والوسطى.

لقد انتُزع اليهود الخزريون من موطنهم الأصلي انتزاعاً، ليُحملوا على العيش في البلاد الأوروبية التي انتشروا فيها. ولكن المهاجرين اليهود حملوا معهم إلى أوروبا تجربتهم ومعارفهم الحضارية التي اقتبسوها من الحضارة العربية الإسلامية فكان ذلك يعني الكثير بالنسبة للمجتمعات المتخلفة في أوروبا الإقطاعية. بينما كان المهاجرون اليهود متفوقين في وظائفهم الاقتصادية والثقافية على الأوربيين. فاختار أولئك المهاجرون التوطن على خطوط مواصلات (اتحاد المدن التجارية) الأوروبية الذي تأسس عام 1241م في ألمانيا وهولندا، وأصبح في القرن الخامس عشر يضم (64 مدينة)، وإن اختيارهم هذا للإقامة مما يتلائم مع وظائفهم الاقتصادية المتفوقة، أعطى لليهود وضعاً متميزاً مثيراً للانتباه الشديد.

وهكذا أخذ العداء لليهود عند الأوربيين، كمظهر من عدائهم لوظائف اليهود الاقتصادية، وفي مقدمتها إقراض النقود بالربا الأمر الذي سبب ظهور المسألة اليهودية من جديد في أوروبا بسبب قيام فتن ضد اليهود في كل مكان من أوروبا.

ب - يهود العالم في الوقت الحاضر:

تقول الموسوعة البريطانية في طبعتها لعام 1965 أن الطوائف اليهودية في العالم تتشكل من ثلاثة أقسام هي:

1- **طائفة السفرديم** : وهم اليهود الذين كان أسلافهم يعيشون في أسبانيا خلال القرون الوسطى ((في ظل الدولة العربية في إسبانيا)) وبعد طردهم من إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي 1492 مع خروج العرب، تفرق هؤلاء في فرنسا وهولندا و إرك لترا وإيطاليا واليونان وتركيا وشمال إفريقيا (المغرب العربي وفي كل مكان أقاموا فيه، احتفظوا بعاداتهم وطقوسهم الدينية وبلغة (اللادينو) وهي خليط بين الإسبانية واليهودية، تكلموها خلال القرون الوسطى وتكتب بحروف عبرية. وقد نقل هؤلاء معهم تأثيرات الحضارة العربية في إسبانية، مما جعلهم يتميزون عن سكان أوروبة الذين كانوا في حالة من التخلف الفكري خلال العصور الوسطى. وتقدّر الموسوعة عددهم عام 1960 بحدود نصف مليون نسمة.

2- **طائفة الإشكنازيم** : وهم يهود ألمانيا وبولونيا وشرق أوروبا ، الذين عاش أجدادهم في القرون الوسطى في ألمانيا بشكل خاص. ومنها هاجروا إلى شرقي وغربي أوروبا. وقسم منهم هاجر في القرنين التاسع عشر والعشرين خارج أوروبا وخاصة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإلى أمريكا الجنوبية. ويختلف هؤلاء عن طائفة السفرديم، بعاداتهم وطقوسهم الدينية وبلغتهم لأن الإشكنازيم كانوا حتى

نهاية القرن التاسع عشر يتكلمون (اليديش) أو الألمانية اليهودية وهي شكل من ألمانية القرون الوسطى تكتب بحروف عبرية. يقدر عدد طائفة اليهود الإشكنازيم في عام 1960 بحدود عشرة ملايين منهم خمسة ملايين في الولايات المتحدة الأميركية وثلاثة ملايين في روسيا. وتؤلف هذه الطائفة تسعة أعشار اليهود في العالم. وينتمي هؤلاء إلى العرق (الجرماني والسلافي والخزري) اعتنقوا الدين اليهودي واقتبسوا الكتابة العبرية معاً إذ لم تكن لهم كتابة وقت اقتباسهم الدين اليهودي. إذن هم الأوربيون المتهودون وليست لهم أية صلة بفلسطين، ومنهم غُلاة الصهيونيين وزعماء الصهيونية العالمية.

3- اليهود الشرقيون:

يقيم هؤلاء في البلاد العربية ويتكلمون اللغة العربية، وفي إيران وأفغانستان وبخارى ويتكلمون الفارسية، ومنهم قسم يقيم في مناطق كردستان ويتكلمون الآرامية الجديدة. ويختلف هؤلاء في خصائصهم العرقية اختلافاً كبيراً من السفرديم والإشكنازيم ويقدر عددهم عام 1960 بحوالي مليوني نسمة.

يهود يثرب شمال الحجاز من الجدير بالذكر أن اليهود الذين كانو في يثرب وشمال الحجاز، من الذين ((تهوّدوا))، أي اعتنقو ا اليهودية قبل الإسلام بزمن طويل فهم قومياً عرب، منهم ((بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع)).

كما أن الإسلام اعطاهم حق التحالف مع العرب المسلمين ضد المشركين، وكان ذلك الامتياز تضمنته الصحيفة التي نصت على ذلك التحالف.

ولكن بعد أن غدروا، وتحالفوا مع القبائل المعاديه للإسلام، في غزوة الخندق (الأحزاب)، سقط عنهم ذلك التحالف، لم بعد يربطهم بالعرب المسلمين رباط وخرجوا من كونهم جزءاً من الأمة السياسية التي نصت عليها تلك الصحيفة.

وبالإضافة إلى ما تقدم، هناك جماعات يهودية صغيرة لا يمكن تصنيفها ضمن الأقسام الثلاثة؛ منهم جماعات في إيطاليا واليونان ويهود **الفلاشا** في إثيوبيا السود ويهود الهند السود وغيرهم وجميعهم من أصول غامضة. أما **يهود البلاد العربية** الذين كانوا يقيمون في المدن الكبرى (دمشق وحلب وبيروت والقاهرة والإسكندرية وبغداد والبصرة والموصل وغيرها من المدن). يعيشون في أحياء أو حارات خاصة بهم عُرفت باسم (حارة اليهود) شبيهة بـ (الغيتو) اليهودي في أوروبا، مع فارق أن يهود البلاد العربية كانوا يعيشون بحرية تامة، ويعملون في جميع مجالات الحياة، كالتجارة والصرافة أو مايشبه عمل البنوك الآن، وفي الصياغة (الذهب والفضة). فساعدهم هذا على جمع ثروات كبيرة مكنتهم من التحكم في أسواق المال. لدرجة أن يهود دمشق كانوا قادرين على تأخير قوافل الحجاج خلال القرن التاسع عشر بسبب احتكارهم للنقود الذهبية.وقد ذكر ذلك

(المؤرخ محمد كرد علي) رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق في مقالة بعنوان (يهود دمشق منذ مائة عام) نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

أما يهود **الأندلس** الذين هربوا من ملاحقة محاكم التفتيش إلى المغرب العربي، وهم ما زالوا يعيشون في المملكة المغربية بحرية تامة وبوضع ممتاز حتى الآن، وكان منهم وزراء في حكومة المملكة المغربية وتونس.

أما في **مصر**: كان يهود مصر حتى قيام دولة إسرائيل 1948 يتمتعون بحرية مطلقة ليس في ممارسة شعائرهم الدينية وإنشاء المعابد والمعاهد الثقافية والتبشيرية فقط، بل أُطلقت أيديهم في الأعمال المالية والصحافية في مصر، وأصبح أغنياؤهم يملكون العقارات والشركات الكبيرة، وكان لهم مقاعد في مجلسي الشيوخ والنواب وفي عام 1924 كان وزير المالية في الحكومة المصرية يهودياً هو (يوسف قطاوي باشا).

ومنذ العهد العثماني كانت الحركة الصهيونية قد أقامت لها مركزاً لطبع منشوراتها بحرية تامة في مصر، ومن أغرب ما نُشر، كتاب بعنوان (يقظة العالم اليهودي) للكاتب اليهودي (إيلي ليفي أبو عسل) طُبع في القاهرة عام 1934.

وفي **العراق**: كانت حياة اليهود تقوم أيضاً على الاستقرار والاستمتاع بحرية العمل في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية، ففي أول

حكومة عراقية تألفت عام 1920 كان وزير المالية يهودياً هو (ساسون حسقيل) كما كان لهم مقاعد في مجلسي النواب والأعيان.

ولكن الأمر قد تبدل بعد قيام دولة إسرائيل في فلسطين عام 1948، حيث عمدت الحركة الصهيونية إلى تنفيذ مخطط إرهابي لإجبار يهود البلاد العربية على الهجرة إلى إسرائيل. ولتنفيذ مخططها هذا عمدت إلى نشر سلسلة من الدعاية ضد اليهود ونفذت عدة عمليات إرهابية منها ما حدث في العراق عام 1951، أدى إلى هجرة القسم الأكبر من يهود العراق إلى إسرائيل.

وفي هذا المجال نذكر ما نشرته جريدة (دافار) الإسرائيلية: ((أنا لا أشعر بالخجل وأنا أعترف هنا أنه لو كنتُ أملك السلطة لأخذت عشرات الشباب الأذكياء والمخلصين لمثلنا العليا، ثم أرسلتهم متنكرين إلى البلاد التي استكان فيها اليهود إلى رغد العيش، وذلك من أجل نشر شعارات معادية للسامية وما شابه ذلك من الشعارات .. وأنا على يقين بأن هذا سيؤدي إلى نتائج بشأن الهجرة إلى إسرائيل، أفضل بكثير من النتائج التي حققتها حتى الآن البعثات التي نرسلها لتصب وعظها في آذان صماء)).

((التصريح لدافيد بن غوريون لصحيفة يهودية في نيويورك تموز 1952))

ولكن كثيرين من اليهود الذين أكرهوا على الذهاب إلى إسرائيل وجدوا أنفسهم غرباء في مجتمع غريب عنهم. وهذا ((إسحق بارموشيه)) وهو يهودي عراقي، يقول في كتابه ((الخروج من العراق)) ما يلي:

((كنا نتذكر بحزن شديد أن حكام العراق، الرجعيين وخدام الاستعمار البريطاني، كانوا يصفوننا بأننا يهود. وقد تركنا العراق بصفتنا يهوداً،ووصلنا إلى إسرائيل لنستقبل بصفتنا عراقيين! كان المشهد مأساوياً ومضحكاً في الوقت نفسه. فقد ساعدنا حكام العراق على تأكيد وتثبيت يهوديتنا، وها هم أبناء ديانتنا وجلدتنا يساعدوننا من جهتهم على تأكيد وتثبيت عراقيتنا. كان الشعور العام مؤلماً ومثيراً للحزن في آن واحد)).

ثم يتابع قوله ((وإن العرب في الديار المقدسة كانوا أحسن الحراس وأكثرهم أمانة لقبور أجدادنا وأجدادهم معاً .. وإن تاريخنا وتاريخهم في هذه الديار يرتبط ارتباطاً عضوياً ولذلك اكتشفنا أن عوامل القرب هنا وهناك، كانت، وظلت، وسوف تبقى، أقوى من عوامل البعد)).

نقلاً عن كتاب ((مصيرنا هو مصير فلسطين)) تأليف نصر شمالي صـ 158

وهذا يهودي عراقي آخر هو (نعيم قطان) يقول:

((إن كل عربي، وكل مسلم،وكل إنسان منصف يُدرك جيداً أحاسيس القهر العميقة التي تكمن خلف هذا القدر من الأسى والتهكم المرير، في ظل

الإدارة الصهيونية التي هي مجرد أداة في يد الإدارات الرأسمالية الاحتكارية العالمية حيث تتم طول الوقت عمليات سحق الإنسان في كل مكان بسحق ثقافته الوطنية.. الإسلام يؤكد نفسه كآخر دين للتوحيد وأنه يعترف باستقلال المسيحيين واليهود.. ويقبل بوجودهم وبكيانهم كجماعة منفصلة ومستقلة. وليس عليهم أن يتركوا دينهم. إني كيهودي بين المسلمين لم يحاول أحد منهم أبداً أن يحولني عن ديني، لم يكن عليّ لأكون يهودياً، أن أنكر الإسلام.. أن أعيش بين المسلمين لا يُهدّد اعتقادي ولا يُحكمُ عليّ بالامتصاص وبالاختفاء. إن يهودياً من بغداد أو من حلب، لا يستطيع أن يشعر (بالغربة مثل الأوروبي). لسنا مهاجرين ولا غرباء، لقد عشنا على أرضنا منذ قرون. كُنا فيها عندما ظهر الإسلام. وعندما عُرّبت المنطقة لم نقاوم التعريب أبداً. لأنه (أي الإسلام) اعترف لنا باستقلالنا الذاتي.... كانت بغداد وطناً ونقطة إنطلاق، ومحوراً لقياس النجاح وإرساء الذاكرة بالنسبة لنا ليس بنا حاجة للعودة إلى فلسطين. كنا شركاء في الإمبراطورية الإسلامية، وطُردنا من إسبانيا مع أولئك الذين يتغنون بمجد محمد. هذا يكفي. هذا هو القول الفصل حقاً)).

هذا النص منقول عن كتاب (كتاب مصيرنا هو مصير فلسطين) تأليف (نصر شمالي) صـ 159و160

رابعاً: هل يكوّن اليهود جنساً أو عرقاً واحداً؟

بعد استعراض نشوء الديانة اليهودية وانتشارها ،ووجود اليهود في العالم المعاصر يطالعنا السؤال الذي لا بد من الإجابة عليه: هل يكوّن اليهود جنساً أو عرقاً واحداً؟!.

وذلك لأن اليهود وبشكل خاص الحركة الصهيونية تدعي، أن جميع يهود العالم ينتسبون إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب، ادعاءً كاذباً لأن العلم والمنطق التاريخي يدحض هذا الادعاء.ولنا من شهادات الباحثين والمؤرخين ما يدعم الرأي القائل أن اليهود لا يكوّنون شعباً واحداً ينتمي إلى أصل أو جنس واحد.

وقد مرّ معنا في بحث انتشار الديانة اليهودية، أن الدين اليهودي انتشر في مناطق مختلفة من آسيا وأوروبا وإفريقيا، بين شعوب شتى ومن مختلف الأجناس واللغات والدماء ويسكنون في مواطن متباعدة، مثل يهود الخزر الأتراك - واليهود الألمان ذوي الشعر الأشقر - واليهود السلاف في روسيا والبلاد المجاورة لها - واليهود الإسبان - ويهود الحبشة - ويهود الصين - ويهود الهند السود وغيرهم.

فهل يصح بعد هذا أن تقول الصهيونية عن هؤلاء جميعاً أنهم يعودون بنسبهم إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب؟! وفي ذلك مخالفة صريحة للعلم والتاريخ.

صحيح أن الحركة الصهيونية تهدف من وراء هذا الادعاء، الربط بين حركتهم السياسية الاستعمارية وبين تاريخ اليهود الديني القديم، لتبرير اغتصاب فلسطين وإقامة الدولة اليهودية على أرضها، مدعومة بذلك بتأييد الدول الاستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية. لكن هذا لا يجد تأييداً له في الواقع التاريخي والعلمي، لأن اليهود المعاصرين لا تربطهم باليهود القدماء (جماعة موسى) إلا رابطة الدين فقط. ونجد عند كثير من الباحثين من الآراء والأبحاث ما يكفي إيراد أمثلة منها حتى نصل إلى الرأي القائل إن ((اليهود جماعة لها مميزات دينية واجتماعية خاصة بها، انضم إليها أقوام وشعوب من أجناس وعروق مختلفة)).

وفي هذا الصدد يؤكد البروفسور (جورفيتيش) أستاذ علم الإنسان في الجامعة العبرية نفسها فيقول: ((إن اليهود ليسوا بالشعب الواحد، بل هم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس، اعتنقوا ديناً واحداً، وأن يهود أوروبا الشرقية ينتسبون إلى قبائل الخزر، ويهود أوروبا الوسطى والغربية فمن أصل أوروبي صميم قد اعتنقوا الدين اليهودي بعد القرن الثالث الميلادي على أيدي مبشرين من اليهود)).

توصل هذا الأستاذ إلى هذه الحقيقة بعد أن أجرى عدة تجارب بيولوجية على المهاجرين اليهود إلى إسرائيل. وسجل النتائج في كتاب بين فيه حقائق علمية، لا تقبل الشك.

ويقول الدكتور محمد عوض محمد في كتابه (المسألة الصهيونية في نظر العلم صـ 6) ما يلي: ((ولو نظرنا إلى اليهود في مختلف أقطار العالم اليوم، لوجدنا بينهم الشقر ذوي العيون الزرقاء، والشعر الأصفر، ورأينا بينهم السمر ذوي الشعر المجعّد في هضبة الحبشة والسود في جنوب الهند والصُفر المغول في الصين، ورأينا بينهم الطوال القامة والقصار وذوي الرؤوس الطويلة والعريضة ... وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها منحدرة من سلالة جنسية واحدة)).

ويؤكد كثيرون من علماء الأجناس هذه الآراء والدراسات. وليس هذا فحسب، بل ورد في الكتاب الذي نشره المجلس الأميركي لليهودية بعنوان (اليهودية دين لا قومية) ما يلي: ((إن الشعب اليهودي بالمعنى السياسي والطائفي ليس له وجود، بل كان يرمز بعبارة (الشعب اليهودي) أو (شعب إسرائيل) إلى الناحية الروحية)).

ونستطيع القول، وإن كانت كلمة (يهودي) مقتبسة من (يهوذا) وتطلق على كل من اعتنق الديانة اليهودية، إلا أن ذلك لا يعني أن اليهود يكوّنون شعباً من عرق واحد أو من أصل واحد. وإلا لكان كل المسيحيين في العالم يعودون في

نسبهم إلى السيد المسيح. وإلا لكان كل المسلمين في العالم ينتسبون إلى محمد بن عبد الله.

والحقيقة أن اليهود ينتمون إلى كيان ديني فقط. لأنه لم يكن لليهود في أي دور حكماً زمنياً قائماً على جنس معيّن أو قومية ثابتة، لقد كانوا منذ أيام موسى وما زالوا حتى الآن يمثلون جماعة يرتكز كيانها على الدين وحده. وحتى دولة إسرائيل التي قامت عام 1948، يتمتع فيها رجال الدين وحاخاماتهم وحزبهم الديني بنفوذ كبير على حكام إسرائيل.

كذلك فإن دولة إسرائيل هذه ما كان لها أن ترى النور، لولا أن الدول الاستعمارية وعلى رأسهم (بريطانيا والولايات المتحدة) الذين تحالفوا مع الحركة الصهيونية لتحقيق قيام الدولة اليهودية، لتكون قاعدة استعمارية في قلب الوطن العربي حمايةً لمصالح الدول الاستعمارية في المنطقة.

فإذا كان الأمر قد أدى إلى خلق ((إسرائيل)) مولوداً غير شرعي للتآمر الدولي على الحق العربي. لكن أحلام الشعب المختار أكبر من إسرائيل وأكبر من فلسطين. وفي هذا الصدد يقول الدكتور ((ناحوم غولدمان)) في محاضرة له في مدينة مونتريال في كندا عام 1947 ما نصه : ((لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي بالنسبة لهم، ولا لأن مياه البحر الميت تعطي سنوياً، بفضل التبخر، ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن، وليس أيضاً

لأن مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الأمريكتين مجتمعتين، بل لأن فلسطين هي ملتقى طرق أوروبا وآسيا وإفريقيا، ولأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم، ولأنها المركز الاستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم)) .نقلاً عن كتاب (حكومة العالم الخفية) صـ 34. وسيأتي الكلام في بحث الحركة الصهيونية، عن دور الدول الاستعمارية الكبرى في خلق دولة إسرائيل في فلسطين .

obeikandl.com